العرب من أيديهم ، وكيف سلبوا كل مرافقهم ومصالحهم الجوهرية ، وكيف فتحت بلادهم لتلقى سيل الهجرة اليهودية تنفيذا لعهد بلفور وصك الانتداب . وقد اقرت لجنة التحقيق البريطانية التي انتدبت على اثر حوادث سنة ١٩٢٩ عدالة كثير من المظالم التي نزلت بالعرب ، ولا سيما مسألة الأراضي ومسألة الهجرة اليهودية . ولكن السياسة البريطانية لم تغير شيئا من مسلكها ؛ وما زالت تؤيد غزو الصهيونية لفلسطين بكل قواها . وقد وصل اقتناء اليهود لاراضي العرب في العهد الأخير ووصلت الهجرة اليهودية الى حدود خطرة ، وشعر العرب بالضغط عليهم وعلى مرافقهم يشتد الى الغاية ؛ فكان الانفجار الأخير ؛ وكان ان اثبتت فلسطين مرة أخرى أنها ستقاوم هذا الغزو البربري المنظم بكل ما وسعت من قوة : وشعرت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومي اليهودي انما هو لعبة خطرة لاتزال تنقصها كل عناصر السلامة والطمأنينة ؛ وكان لحوادث فلسطين الأخيرة وقع عميق في العالم العربي والاسلامي كله : فعرفت اليهودية مرة أخرى ان فلسطين لا تقف وحيدة في ميدان النضال ؛ وان من ورائها الأمم العربية والاسلامية كلها تشد أزرها بجميع قواها المعنوية ؛ وعرفت اليهودية مرة أخرى أن الوطن القومي اليهودي لا يقوم في قلب فلسطين فقط ، وانما يقوم في قلب العالم العربي والاسلامي كله على بركان من الخصومة المشتركة ، وان عليها اذا أرادت البقاء في فلسطين أن تأهب لمنازلة العالم العربي والاسلامي كله . ؟

الكروان

ألا أيها الكروان صحّت لك الرُّبى
وطابت مجانيها ففيمَ تَصيحُ
أراكَ كأن الوَجْدَ أشجاكَ والأسى
رماكَ فتَغْدو والهاً وتروح
كأنك والأشجارُ أعوادُ مِنبرٍ
خطيبٌ لأرباب الهوَى ونَصيحُ
ألا غنِّني وانشدْ فؤاداً أضلَّهُ
عُيونُ المها عَلَّ الفؤاد يلوحُ
وآسِ بما توحيه قلبي فربَّما
تَقَرَّحَ قلبُ المرءِ وهو صحيحُ

محمد محمود الرافعي

الشافعي واضع علم اصول الفقه

للاستاذ مصطفى عبد الرازق (١)

استاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

الشافعي هو أحد الأئمة الأربعة الفقهاء : أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي المتوفى سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م ، وأبي عبد الله مالك ابن انس الاصبحي المدني المتوفى سنة ١٧٩ هـ - ٧٩٥ م ، وأبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المكي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ - ٨٢٠ م ، وأبي عبد الله أحمد بن حنبل البغدادي المتوفى سنة ٢٤١ - ٨٥٥ م .

وهؤلاء الأئمة هم الذين استقرت مذاهبهم في الفقه الاسلامي بين جمهور المسلمين منذ نحو ألف عام .

وتلاشى ماعداها من المذاهب كمذهب « الحسن البصري » المتوفى سنة « ١١٠ هـ — ٧٢٧ م » ومذهب « سفيان الثوري » المتوفى سنة « ١٦١ هـ — ٧٧٧ م » ومذهب « عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي » المتوفى سنة « ٢٠٠ هـ — ٨٥٤ م » ومذهب « محمد بن جرير الطبري » المتوفى سنة « ٣١٠ هـ — ٩٢٢ م »

وطالت مدة المذهب الظاهري الذي أسسه « داود بن علي الأصفهاني » المتوفى سنة « ٢٧٠ هـ — ٨٨٣ م » وزاحم المذاهب الأربعة ودرس بعد القرن الثامن

والتنافس بين المذاهب الاربعة على الغلبة والانتشار والسلطان قديم يرجع الى عهودها الأولى ، ولعل بعض آثاره لاتزال باقية إلى اليوم

ولئن كان هذا التنافس قد أدى في بعض الأحايين الى أثارة أحقاد وفتن بين العامة فانه في أكثر أمره كان سبب حياة عقلية ونشاط فكري وتسابق الى الأتقان والكمال في البحث العلمي

فان أهل كل مذهب كانوا لايفتأون يتفننون في جعل مذهبهم ميسراً لأفهام الناس وأذواقهم ، متسعا لما يتجدد من حاجاتهم ، متميزا بلطف الاستنباط وحسن التخريج ، وكثرة الجمع للمسائل الموجودة التأليف حتى أصبحت علوم الأحكام الشرعية أكمل مظهر للنبوغ العقلي العظيم في الاسلام بوفرة أبحاثها ومؤلفاتها التي لا يحصى

(١) نص محاضرة القاها في قاعة الجمعية الجغرافية الملكية

عديدها وبما فى كثير من هذه المؤلفات والأبحاث من ابتكار وأبداع لا جرم كان التراث الفقهى الاسلامى من أنفس ما أدخر البشر من مباحث المتفقهين .

ولا نزاع فى أن لأشخاص واضعى المذاهب أثرا فى رواج مذاهبهم وإقبال الناس عليها وتغلبها على ما عداها .

وقلما تمتاز عند الجمهور مقالات المفكرين عن صورهم وأشخاصهم .(١)

ومن أجل هذا كان من وسائل أهل المذاهب الأربعة لنشر مذاهبهم والدعوة لها : وضع المصنفات فى مناقب الائمة أصحاب هذه المذاهب ، وفى الترجمة لحياتهم على وجه يبرز فضائلهم ويبين مزايا مذاهبهم

وقد تفرد الائمة الاربعة بكثرة مادون من المؤلفات فى تراجمهم حتى ليقول « أبو زكريا النووى » المتوفى سنة ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م فى شرحه للمهذب المسمى بالمجموع : « وقد أكثر العلماء من المصنفات فى مناقب الشافعى رحمه الله وأحواله من المتقدمين كداود الظاهرى وآخرين . ، ومن المتأخرين كالبيهقى وخلائق لايحصون »

ويقول أبو حفص عمر بن أبى الحسن الشافعى المعروف بابن الملقن فى كتابه « العقد المذهب فى تاريخ المذهب » المؤلف فى القرن الثامن الهجرى : « وترجمة الشافعى حذفناها فى هذا المؤلف لأنها أفردت تأليفا فبلغت نحو أربعين مؤلفا »

على أن كثرة هذه المؤلفات وان وفرت للمؤرخ مراجع البحث فأنها تقوم فى الغالب على العصبية لأمام على أمام ، فلا تخلو من سرف فى المدح وسرف فى الذم ، وجدل فيما ينسب لهذا من المناقب وما ينسب لهذا من المثالب . ولا تخلو من اعتماد على روايات ظاهرة البطلان وعلى الأحلام والرؤى .

ومن أمثلة ذلك : ماورد فى كتاب مناقب الأمام الأعظم أبى حنيفة النعمان لمحمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزاز الكردى صاحب فتاوى البزازية المتوفى سنة ٨٢٧ هـ ١٤٢٣ م ، من عقد فصل لصفة الأمام فى التوراة .

وقلما تجد كتابا فى مناقب الأئمة ألا وفيه باب لما رأى الأمام المترجم له فى المنام ومن رؤى له .

نعم لكل ذلك وزنه ودلالته فى نظر الباحث . لكن التقصى لهذه المقالات فى مصادرها والمقارنة بين رواياتها المختلفة واعتبار حجج المثبتين لها والمزيفين لها مما لا يدخل فى غرضنا ولا يتسع له المقام

غرضنا من هذا البحث أن ندرس مايتعلق بأثر الشافعى فى تكوين العلم الأسلامى .

ولما كان وصف الأثر العلمى للأمام يستدعى تصوير شخصيته التى صدر عنها هذا الأثر ، فأنى اجعل هذا البحث قسمين

ا — مايتعلق بالشافعى فى خاصة نفسه من نشأته وسيرته

ب — مايتعلق بأثر الشافعى فى وضع علم « أصول الفقه »

وأتناولهما على هذا الترتيب

ا — نشأة الشافعى وسيرته

يقول أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى المالكى المتوفى سنة ٤٦٣ هـ فى كتابه « الأنتقاء فى فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء : مالك ، والشافعى ، وأبى حنيفة رضى الله عنهم » لاخلاف علمته بين أهل العلم والمعرفة بأيام الناس من أهل السير والعلم بالخبر والمعرفة بأنساب قريش وغيرها من العرب ، وأهل الحديث والفقه أن الفقيه الشافعى رضى الله عنه هو « محمد بن ادريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة » ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف بن قصى ، والنبى صلى الله عليه وسلم « محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف »

والشافعى محمد بن أدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، وأبى شافع ينسب ، وقد تقدم أنه شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد ابن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصى »

فالنبى صلى الله عليه وسلم هاشمى ، والشافعى مطلبى ، وهاشم والمطلب أخوان أبنا عبد مناف ، ولعبد مناف أربعة بنون : هاشم والمطلب ونوفل وعبد شمس — (ص ٦٦) وهذا الذى لم يكن

---

(١) نقل ابن حجر عن زكريا الساجى أنه سمع داود بن سعيد الأبلى يقول . مارأيت مثل الشافعى . قدم علينا مصر فقيل قدم رجل من قريش فجئناه وهو يصلى فما رأينا أحسن صلاة منه ولا أحسن وجها . فلما تكلم مارأينا أحسن كلاما منه . فاقتنا به . ص ٥٩

وأخرج الآبرى من طريق الربيع قال : لما قدم الشافعى مصر وقعد فى مجلسه كان يجالسه رؤساء اصحاب الخليفة عبد الله بن عبد الحكم ونظراؤه ، وكان الشافعى حسن الوجه والخلق . فجيب الى أهل مصر من الفقهاء والنبلاء والاعيان ص ٦٢

يعرف فيه ابن عبد البر خلافا من نسب الشافعي قد حدث فيه الخلاف .

قال فخر الدين محمد بن عمر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦هـ — ١٢٠٩م في كتابه في مناقب الامام الشافعي :

(وطعن الجرجاني وهو واحد من فقهاء الحنفية في هذا النسب وقال : إن أصحاب مالك لا يسلمون أن نسب الشافعي رضي الله تعالى عنه من قريش ؛ بل يزعمون أن شافعا كان مولى لأبي لهب فطلب من عمر أن يجعله من موالي قريش فامتنع ؛ فطلب من عثمان ذلك ففعل ، فعلى هذا التقدير يكون الشافعي رضي الله تعالى عنه من الموالي لا من قريش) . ص ٥

وعرض الرازي للرد على هذه الدعوى بما لا نرى حاجة للإطالة به مادام صاحب الطعن يعزوه إلى أصحاب مالك ، وقد نقلنا عن أمام من أئمة المالكية ما ينقض هذه الدعوى التي يقول في أمرها الرازي : « واعلم أن الجرجاني انما أقدم على هذا البهتان لأن الناس اتفقوا على أن أبا حنيفة كان من الموالي ، ألا أنهم اختلفوا في أنه كان من موالي العتاقة أو من موالي الحلف والنصرة ، وطال كلامهم في هذا الباب وأراد أن يقابل ذلك بمثل هذا البهت ، وما مثله فيه إلا كما قال الله تعالى : ويريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ص ٧ و ٨

وقد يكون أصل هذه الحكاية ماذكره الخطيب البغدادي في ترجمته للشافعي من أن أم شافع أم ولد
فالشافعي من جهة أبيه قرشي مطلبي ليس في ذلك نزاع يقام له وزن ، وأن كانت أم جده ليست من العرب

وقد ذكر الكثيرون ممن ترجم للشافعي : ان جده السائب أسلم يوم بدر ، وكان صاحب راية بني هاشم مع المشركين فأسر ففدى نفسه وأسلم وروى : انه اشتكى فقال عمر : اذهبوا بنا نعود السائب ابن عبيد فأنه من قريش ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : حين أتى به وبعمه العباس : هذا أخي

أما ابنه شافع فلقي النبي وهو مترعرع ، فالسائب بن عبيد صحابي ، وابنه شافع صحابي ، وأخوه عبدالله بن السائب والي مكة صحابي

وروى ابن حجر العسقلاني الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢هـ — ١٤٤٨ م في كتاب « الأصابة في تمييز الصحابة » عند الكلام على عبد يزيد بن هاشم بن المطلب روايات قال على أثرها :

(وعلى هذا فيكون في النسب أربعة أنفس في نسق من الصحابة : عبد يزيد وولده عبيد ، وولده السائب بن عبيد ، وولده شافع بن السائب) ج ٨ ص ١٩٣

ويظهر ان بيت الشافعي كان بيت حكم وعلم في مكة . فقد رأينا أن عبد الله بن السائب أخا شافع بن السائب كان واليا لمكة .

وقال ابن حجر العسقلاني في كتابه « توالي التأسيس بمعالي ابن ادريس » : (وأما عثمان بن شافع فعاش الى خلافة أبي العباس السفاح ، وله ذكر في قصة بني المطلب لما أراد السفاح اخراجهم من الحمى وأفراده لبني هاشم ؛ فقام عثمان في ذلك حتى رده على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم) ص ٤٥

وذكر ابن عبد البر فيمن أخذ عن الشافعي علمه من أهل مكة ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع قال : (وهو ابن عمه ، وروى أيضاً عن ابن عيينة وغيره وكان ، ثقة حافظاً للحديث ولم ينتشر عنه كبير شيء في الفقه ، وكان منشؤه بمكة وتوفي بها سنة سبع وثلاثين ومائتين ، وحدث عن جماعة) ص ١٠٤

ولسنا نعرف من أمر إدريس والد الشافعي ألا أنه كان رجلا حجازيا قليل ذات اليد ، وأنه خرج مهاجرا من المدينة حين ظهر فيها ، بعض ما يكرهه ، أو خرج من مكة الى الشام لحاجة في رواية أخرى ، وأقام بغزة أو بعسقلان من بلاد فلسطين ثم مات بعد مولد الشافعي بقليل .

أما أم الشافعي فهي أزدية في أرجح الروايات ، وهي الرواية المشهورة المعزوة الى الامام نفسه ، وذكر بعض المؤرخين أن كنيتها « أم حبيبة الازدية »

ونقل بعض أصحاب التراجم أن أم الشافعي هي فاطمة بنت عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

وقيل : فاطمة بنت عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي

وقالوا : انهم لا يعلمون هاشميا ولدته هاشمية ألا علي بن أبي طالب والشافعي

ورجح هذا القول ابن السبكي في كتاب « طبقات الشافعية الكبرى » لكن الفخر الرازي يرى : ان هذا القول شاذ ، ويقول ابن حجر العسقلاني : انه لم يثبت ويرده كلام الشافعي نفسه . قال ابن السبكي : « ولله درها من أي قبيلة كانت ! »

قال ابن حجر : (ومن طريف ما يحكى عن أم الشافعي من

الحدق : انها شهدت عند قاضي مكة هي وأخرى مع رجل . فأراد القاضي أن يفرق بين المرأتين، فقالت له أم الشافعي: ليس لك ذلك، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : « أن تضل احداهما فتذكر إحداهما الاخرى » فرجع القاضي لما في ذلك . وهـذا فرع غريب واستنباط قوي)

ولو أن أم الشافعي كانت بهذه المثابة من دقة التفريع وقوة الاستنباط لعرف التاريخ على الاقل اسمها وعرف اين وافاها حمامها وفي أي زمن(١)

هذه السيدة التي يختلفون في نسبها ويختلفون في اسمها هي التي كفلت طفلها يتيما غريبا فقيراً ،ولم تزل ترعاه بعنايتها وتتولاه بهديها حتى أصبح بين المسلمين إماماً

خرج ادريس بن العباس والد الشافعي من مكة مهاجراً يفر من الظلم أو يفر من الفقر أو يفر من كليهما ،وقد يكون في طريقه الى فلسطين أقام في المدينة زمنا ،فقال بعض الرواة : ان هجرته كانت من المدينة ثم نزل في غزة أو في عسقلان ، وهما ثغران من ثغور فلسطين متجاوران ، وعسقلان هي المدينة ، وأقام هناك مع زوجه التي وضعت له طفلا ذكرا لم يكد يتنسم الحياة حتى أدرك الموت باه .

هـذا مولد الشافعي ، ولاخلاف بين الرواة في ان الشافعي ولد « سنة ١٥٠ هـ - وهي السنة التي مات فيها أبو حنيفة على الصحيح كما ذكر ابن حجر وغيره (٢) (يتبع)

(١) في كتاب الكواكب السيارة « في ترتيب الزيارة » تأليف شمس الدين محمد ابن الزيات : « ويقولون (عن قبر من القبور) أم الامام الشافعي وليس بصحيح فانها بمكة .قال المؤلف عفا الله عنه : ضاعت أم الامام الشافعي بمكة وهو الاصح »

(٢) وفي كتاب مرآة الجنان وعبرة اليقظان لابي محمد عبد الله بن اسعد بن علي ابن سليمان عفيف الدين اليافعي اليمني المكي المتوفى سنة ٧٦٨ هـ

« وقلت وينبغي الحنفية مقابلة على سبيل المزاح ، فهم يقولون امامكم كان عقيما حتى ذهب إمامنا ، ونحن نقول لهما ظهر إمامنا هرب إمامكم » ج ٢ ص ٢٥ وهكذا يمزح المتفقهون .

صدر حديثا كتاب

ابن خلدون

حياته وتراثه الفكري

عرض نقدي في مائتي صفحة طبع مطبعة دار الكتب

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان المحامي

يطلب من المؤلف بلجنة التأليف والترجمة والنشر

جنون الشباب

أفدي بروحي الثمانيا ... تِ الماثلات قُدودُ هنّهْ
الخالعاتِ على الحيا ... قِ رواءها بجمالِهِنّهْ
الناعماتِ الغيدِ يُر ... شَفُ كالمُدامةِ ريقهنّهْ
الباعثاتِ بكلِّ قلـ ... ـبٍ وجدُهُ ألحاظهنّه
يمرحنَ في ظلِّ الشبا ... بِ فتَرتقصُ الدُنيا لهنّهْ
خطراتهنَّ على الفؤا ... دِ كأنها وقعُ الأسنّهْ
الشَعرُ والسحرُ الحلا ... لُ وفتنة الألباب هنّهْ
وإذا أردنَ جعلنَ من ... صحراءِ هذا العيشِ جنّهْ
لله يومٌ كنتُ فيـ ... ـه صريعَ نَبلِ جفونهنّهْ
ما أعذبَ الألمَ الذي ... يصلاهُ قلبي عندهنّهْ!
آمنتُ بالحُسنِ المبيـ ... ـنِ وهمتُ منهُ بكلِّ فتنهْ
لولا الجمالُ لكانت الدُ ... نيا كأغدافِ الدُجنهْ
يا طيبَ أحلامِ الصبى ... منْ بلسمٍ ياطيبهنّهْ!
إنّ الحياةَ هي الشبا ... بُ فان تولى فهيَ محنّهْ
رقَّ النسيمُ ورجّعَ الـ ... ـغريدُ في الاغصانِ لحنّهْ
فاغنمْ ربيعَ العمرِ غضـ ... ـا، فالشبابُ هوىً وجنّهْ

دمشق

حلمي اللحام

* * *

راعي الغنم

يا ليتني راعياً غنما ... في البر اقضي الحياة منفردا
لي أمة اينما ذهبت معي ... تذهب لما ارتضت هداي هدى
امة ضأن قد ارتضيت بها ... اهلا كما اخترت ولدها ولدا
فكل صبح نمضي الى وطن ... وكل يوم ننبي لنا بلدا
موطننا حيثما يطيب لنا ... وكل ارض عشنا بها رغدا
آنس فيها إما وجدت اسى ... أو تلتجي لي إمارات احدا
حينا تراني كالفيلسوف بها ... يضرب في الكون ناظري صعدا
وتارة شادياً أردد في ... لحني وأصغي اذ تستجعل صدى
تهيج ناي النعاج ثاغية ... مثال جوقين بالغنا اتحدا
وتارة اغتدي لها ملكاً ... تطيع امري مهما رفعت يدا
وكيف اوضى بذبح واحدة ... منها وقد اخذت على ندى
تأكل عشب الثرى وترضعني ... درا وتكسو بالصوف لي جسدا
عمري عيشي في الضان لا عمر ... يذهب بين الورى على سدى

احمد الصافي النجفي